الكتابة بالقلم الأبيض

عبدالله الهمامي

حكومة الشارقة
GOVERNMENT OF SHARJAH
SHARJAH EDUCATION COUNCIL
مجلس الشارقة للتعليم

الكتابة بالقلم الأبيض

عبدالله الهمامي

الكتابة بالقلم الأبيض

عبدالله الهمامي

فريق التحرير:

شقره راشد **إيمان معترماوي**

المدير الفني: سامح نبيل **مدير الجودة: أحمد سعيد**

ص.ب: 68688 الشارقة - الإمارات العربية المتحدة

هاتف: 5045555 (9716+) فاكس: 5222774 (9716+)

info@sharjahaward.shj.ae - www.sharjahaward.shj.ae

للتواصل معنا تابعونا على

SEC_Sharjah - sec_sharjah - sec_sharjah

sharjahaward - sharjahaward

الناشر:

مركز القارئ العربي للنشر والتوزيع

دولة الإمارات العربية المتحدة

00971502394447

تصميم وإخراج وطباعة:

colorspen.adv@gmail.com

0505973005 - 0556910411

جميع الحقوق محفوظة

لا يجوزُ استغلالُ هذا المصنَّفِ بأيّ تقنيَّةٍ مَعروفةٍ حاليًّا أو في المستقبلِ، بما في ذلك النَّسخ والتَّرجمةُ والتَّخزينُ أو التَّحميلُ، بالإضافةِ أو بالإنْزالِ على ذاكرة الحاسوبِ، أو بالتَّثبيتِ على أيِّ دِعامةٍ، أو الإتاحةِ عبرَ شبكةِ الإنترنت أو أيٍّ من شبكاتِ المعلوماتِ المفتوحةِ أو المغلَقةِ، بِغَيرِ إذنٍ كتابيٍّ مُسبَقٍ من النَّاشرِ.

الإهداء

إلى الأب الروحي لكل المتفوقين والمتميزين
المؤسس الباني لصرح الثقافة العربية والإسلامية الأصيلة

إلى صاحب السمو
الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي

- حفظه الله -

المحتويات

الفصل	العنوان	رقم
1	العصا البيضاء.. القلم الأبيض	11
2	ولادة أمل	17
3	وظيفة أم	23
4	إبصار باليد والأذن	29
5	نون والقلم وما يسطرون	35
6	الجرس المرعب	41
7	أشكال وألوان	47
8	لا مدرسة لك	53
9	لا أريد المدرسة	59
10	حطين والقاسمية	65
11	الجائزة	71

المحتويات

الفصل	العنوان	رقم
12	فليخلع النظارة	77
13	تفجر الطاقات	83
14	عبر الأثير	93
15	جنوبا إلى العين	99
16	المرحلة الثانوية	105
17	جائزة الشارقة مرة أخرى	111
18	صديق ورفيق	117
19	سلطان الثقافة	123
20	أنا والأدب	127
21	القلم الأبيض	133

الفصل الأول

العصا البيضاء.. القلم الأبيض

العصا البيضاء .. القلم الأبيض

أمام جمع غفير، وقفت لألقي الكلمة، كلمة "اليوم العالمي للكفيف"، أو "اليوم العالمي للعصا البيضاء"، كما يسمونه.

حين قادتني خطواتي نحو المنصة، دارت في ذهني تساؤلات لا حصر لها:

ما الذي أوقفني على هذه المنصة؟

أهو إتقاني لمهارات الخطابة والحديث؟

أم هو قدرتي على التعبير عما يجول في خاطري؟

لعله ثقة زملائي فيّ بأني سوف أبلي بلاء حسنا!!

كل ذلك ممكن، إلا أن أكثر ما كان يدور في خاطري ساعتها، وتذكرته بوضوح وجلاء، هو وقوفي على منصة التكريم قبل هذا

اليوم بعشر سنوات لأتلقى أغلى جائزة في حياتي، الجائزة التي غيرت نمط تفكيري، وأسلوب حياتي، الجائزة التي استلمتها طفلا عام 2004، واستلمتها يافعا عام 2009. وأشعر أنها تمضي معي دائما، أشعر أني أتسلّمها كل يوم ومع كل إنجاز جديد في حياتي، أحس بدفء المصافحة الحانية لصاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي في كل لحظة أحصل فيها على إنجاز جديد.

حين تحدثت عن العصا البيضاء باعتبارها رمز الإنجاز والاستقلالية لغير المبصرين ولضعاف البصر، واعتبارها الوسيلة لبيان الطريق والحركة والتنقل، وكونها أداة حساسة وعلامة دالة عن حاملها، ليست تهدف إلى إثارة الشفقة، بل إلى دعم الكفيف وضعيف البصر لمعرفة المتغيرات حوله واكتشاف محيطه وتحذيره من المفاجآت، وتمثل آلية لتذكير الأصحاء بالذوق العام في التعامل مع الكفيف وتقديم المساعدة له، وتأمين طريقه وإعطائه فرصة للانتقال دون عوائق، لا بقصد إثارة الشفقة عليه، بل بقصد اكتشاف العقبات والمتغيرات في المحيط الذي يتحرك فيه، فهي تؤشر على المألوف وتحذر من المفاجآت، كما تذكرنا بأن نمارس أبسط الآداب والذوق العام في تعاملنا مع الكفيف، بتقديم المساعدة متى طلبت منا، أو بتأمين المرور الآمن له وإعطائه حق الطريق سواء أكنّا راكبين أم

كنّا مترجلين؛ حتى يتسنى له الانتقال دون عائق.

حين تحدثت عن العصا البيضاء، وأشدت بجهود الإمارات في مجال رعاية الكفيف، شعرت أن ثمة كلاماً لم أقله، وأن هناك تجربة لم أنقلها، ولذا غادرت المنصة وأنا أحلم بأن أكتب بالقلم الأبيض كتابا يمثل تجربة حياة، وإلهام حيوات.

فكان هذا الكتاب.

الفصل الثاني

ولادة أمل

ولادة أمل

في الشارقة الحالمة ثمة شارع يمتد طويلا طويلا، يبدأ من الشرق وينتهي في الغرب على الحد الإسمنتي الفاصل بين الشارع وأمواج البحر، أو ربما يبدأ من هناك وينتهي في الشرق، لا فرق، فلا يهم عند إنسان كفيف البدايات والنهايات، المهم هو أنه شارع أسود طويل.

على جانبه تقع الناصرية، مدينة من أقدم مدن الشارقة، تحمل من عراقة الاسم ما يربطها بالعروبة التي تفتخر بالشارقة وتفتخر بها الشارقة، وفي الناصرية، كان منزلنا الأول، العشق الذي لا يمكن لأي إنسان أن ينساه.

في الناصرية ثمة أسرة تنتمي لتراب هذه الأرض، وتحلق في سمائها الماجدة، ما زالت تعيش فرحتها بابنتها البكر، وتنتظر

الابن البكر. وفي هذه الأسرة كان مولدي. لكن الفرحة لم تكن كما كانت متوقعة، ثمة ما أطفأ الفرحة، وجعلها تخبو؛ فالأطباء لم يهنّئوا الوالدين كما ينبغي، والطبيبة المشرفة على عملية الولادة أخذت تبحث عن كلمات مناسبة للتسلية والمواساة.

ما أطفأ الفرحة هو أن نور البصر منطفئ في عيني المولود المنتظر. كفيف، ضرير، أعمى، لا يبصر، لا يرى، كلها كلمات قد تساعد في نقل المعلومة، لكن المحك هو كيف سيكون استقبال المعلومة.

كان ذلك اليوم هو اليوم الأشد حرارة في صيف الأسرة، اليوم الثامن من الشهر الثامن لعام 1993.

1993/8/8. الأقارب الذين توافدوا بكثافة لتهنئة الوالدة بسلامة الوضع، كانوا أيضا يحملون بعض العبارات للمواساة. أعتقد أن أمي كانت حزينة أيضا، لا بد أن تكون كذلك، ولا بد أن أبي كان أكثر حزنا منها، فمن يستطيع في هذه الحياة الصعبة، أن يتحمل مسؤولية ولد كان يرجّى أن يكون سندا على خطوات الحياة، فإذا به يولد محتاجا إلى سند!!

هذا ما أظنه، لكني لست متأكدا تماما منه؛ فحضن أمي الدافئ وضمتها القوية لي أشعرتني بالأمان في عالم ما زال مجهولا، قبلة أبي الحانية وهمسات الآذان أشعرتني بالحب، لا أدري لماذا لم أشعر بأنه متضايق! هل كان قوي الإيمان ليخفي ضيقه بهذا الشكل

الصلب؟ أم أنه كان بالفعل مسرورا بي؟

لست أدري إن كان أبي قد تذكر ساعاتها أخي الذي توفي بعد ولادته بأشهر، قبل مولدي بعام واحد، وربما شعر أن الأمر متشابه، لست أدري إن كنت أنا قد شعرت بأني قد ولدت أصلا، أو أنني ما زلت في ظلمة النشأة. لست أدري إن كنت أشعر بأن ثمة شيئاً لم يولد فيّ بعد. لست أدري!!

خرجت إلى الحياة، لكني لا أستطيع أنه أقول إنَّ عينيَّ أبصرتا النور؛ فهذا العالم ليس سوى امتداد لعالمي السابق الذي كنت أحيا فيه طيلة الأشهر التسعة السابقة. لا فرق أبدا، فالظلام مسيطر هنا، والظلام كان مسيطرا هناك.

أمور كثيرة كانت تدعو لليأس في ذلك اليوم، لكن حرارة الشمس اللاهبة، ونور الشمس الساطع بقوة، كانت تفتح آفاقا للأمل. آمالا لا يحدها امتداد البصر، وإنما يوسعها امتداد البصيرة.

الفصل الثالث

وظيفة أم

وظيفة أم

صحيح أن أمي لم تكن تعمل يومها، لكن التفرغ لطفل هو بحد ذاته وظيفة، فكيف لو كان تفرغا على مدار أربع وعشرين ساعة لطفل كفيف؟ يدخل في واجباتها كل أمر يمكن أن تتخيله أم، بل ما هو أكثر من ذلك، أن تكون عينه التي يبصر بها، أن تكون نافذته على العالم، أن تكون هي عالمه وناقلة عالمه.

أمي من النوع الذي يعرف ما يريد، لم تكن الحياة قبل ولادتي سهلة على الإطلاق، ولن تكون بعد ولادتي سهلة، فالأمر سيّان. "وُجِدْنا في الحياة لنكافح.. هذا قدرنا، وهذا خيارنا". تؤمن أمي بالقدر، وتختار دائما ما يرضي الله. كثيرا ما أشعر أن الله يحب أمي كثيرا. حين كنت طفلا رضيعا شممت رائحة الجنة في أمي. ولمن لا يعرف

فإن الكفيف لديه حاسة شم لا تخطئ. عموما، لن يختلف معي أحد فهذه الرائحة موجودة في كل الأمهات. ألم يقل الرسول – صلى الله عليه وسلم– عن أقدام الأمهات "فثَمَّ الجنة"؟

أعتقد أن أمي عاشت لحظات صعبة جدا. قد يكون الحب موجودا، والاهتمام حاضرا، واستشعار المسؤولية أيضا، لكن المعرفة أيضا ضرورية، وكتجربة أولى لم تكن والدتي تملك المعرفة الكافية التي تعينها على القيام بمهمة التربية كما كانت تتوقع.

اجتهادها الفردي في اقتناء الألعاب المجسمة والوسائل التعليمية لم يكن مفيدا في كثير من الأحيان. كانت تشعر باليأس، وتشعر أن ثمة معرفة ضرورية للمضي قدما في التعامل معي. قد يكون هذا الأمر صعبا، لكن ليس على من يسكن الشارقة؛ فالأمر غدا ميسورا بفضل اهتمام الإمارة بالعمل الإنساني والمجتمعي والثقافي. ربما كانت مدينة الشارقة للخدمات الإنسانية هي الوجهة الأولى، لكن مركز التدخل المبكر كان هو الوجهة الصحيحة.

المعرفة النظرية والدورات التدريبية التي حضرتها أمي في مركز التدخل المبكر جعلت منها خبيرة في التعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة، وخاصة مع المكفوفين.

أعرف كثيراً من الشخصيات رفضت أن تتعلم اللغة الإنجليزية مستثقلة بذل جهد أو تخصيص وقت لهذا الموضوع مع أهميته لها،

رغم أنه قد يفتح لها أبواب فائدة مالية ومهنية. أمي فعلت ما هو أكثر من ذلك. لقد تعلمت طريقة برايل!!

حين أفكر في الجهد الذي بذلته أمي لتوسيع معارفها تفكرت كثيرا في الغاية من العلم، فالإنسان عادة يتعلم ويكتسب المهارات ليفيد نفسه، لكن أمي كانت تتعلم من أجلي، وتكتسب مهارات لن تفيدها إلا في التعامل مع طفل كفيف.

كم هي مضحية هذه الأم! كم هو هائل وعظيم هذا الكم من المشاعر التي أودعها الخالق فيها!

ثمة رؤية شائعة بأن الأم تهدم نفسها لتبني أبناءها، لكن أمي كانت تبني نفسها لتبني ابنها. ما أسماها من وظيفة!

الفصل الرابع

إبصار باليد والأذن

إبصار باليد والأذن

كإنسان كفيف، كانت حاستا السمع واللمس هما مفتاحي على العالم. وقد سعت العائلة إلى تنمية مهارات استخدامي لحاستي السمع واللمس. مركز التدخل المبكر أفاد والدتي كثيرا في إرشادها إلى ممارسات ناجحة لتنمية هذه الحواس.

وما كان يقودني هو فضولي وحبي لاستكشاف العالم، لم أكن أفوِّت أي شيء دون أن أسأل عنه، أو أتحسسه، قد يضجر بعضهم من كثرة السؤال، لكن من يحبني كان يفرح به. قد يضيق بعضهم حين أتحسسه لأتعرف ملامحه، لكن من يحبني كان يفرح بيدي الصغيرتين ويسمح لهما بأن تأخذا طريقهما حيث يقودهما حب المعرفة.

أضع يدي على الطاولة لمرة واحدة فأكتشف مكانها ومحيطها ومحتواها.

أمشي في الطريق متحسسا خطواتي، فيصبح الطريق جزءا من ذاكرتي.

أتلمس بيدي الجدران لأصل إلى الباب، ثم يصبح مكان الباب معروفا لدي.

أتحسس بأصابعي ملامح وجه والدي، فأستطيع تمييز وجهه من بين وجوه كثيرة.

أشم رائحة أمي، وتعلق في ذاكرتي، فلا ينافسها في ذلك أحد.

وهكذا بدأت مسيرتي في الحياة، بدأت أشعر أني كالآخرين، ليسوا أفضل مني في شيء، ولست أقل منهم في شيء.

لم أكن شيئا يخجل منه والدي أو عائلتي؛ ففتحا لي أبواب الحياة على مصراعيها، أخرج كما يخرج الأطفال مع والديهم، أتأرجح على الأرجوحة، وأطلق جسمي للسقوط مندفعا من لعبة التزحلق، ألمس الرمل في الحديقة، أتحسس سجاد المسجد الناعم حين أسجد عليه كما يفعل والدي.

لم يكن الأمر خاليا من إخفاقات: إخفاقات محرجة، وأخرى مرعبة. وحين يكون الأمر في المنزل فالأمر سهل، لكنه حين يكون خارج المنزل، فإن الأمور تكون خارج السيطرة.

الموقف الذي لا يبرح ذاكرتي كان حين كنت في الثالثة، ودخلت العائلة إلى محل لشراء حاجيات المنزل، كنت أمشي بين والديّ وأنا أحس بأن الطرق ضيقة، هي أقرب ما تكون إلى ممرات ذاهبة وأخرى آيبة، كنت أشعر بحواجز تحيط بي، وبين كل فترة وأخرى يتوقف والِدايَ ليحملا شيئا من الرفوف ويضعاه في سلة التسوق، كنت أسمع أصوات احتكاك الزجاج بالزجاج، والألومينيوم بالألومينيوم، والنحاس بالنحاس، والبلاستيك بالبلاستيك، والأكياس الورقية بالأكياس الورقية. وأميزها جميعا حين تحتك ببعضها بعضًا.

فضولي كان يدفعني إلى أن أتحسس الأرفف العملاقة عن يميني وعن شمالي، وربما حصل في بعض المرات أن غفل والدايَ عني، فحملت شيئا من الرفوف ورميته في السلة، وقد كان زجاجيا فانكسر في السلة، وبكل رحابة صدر كان الوالد يدفع حساب ما كسرت، ويعطيني بعض النصائح، وتتشكل لدي خبرة تفيدني في اكتشاف العالم.

لكن ما حدث هذه المرة كان مختلفا تماما، وربما كان مأساويا. يداي الصغيرتان تتحسسان الأرفف التي على يميني. لم يكن رفا ثابتا، يبدو أن ثمة شيئاً مميزاً في هذا الرف جعلهم يعرضونه بشكل هرمي، دعاني فضولي لأسحب أحد الأشياء المعروضة. ما

إن وقعت يدي عليه حتى عرفت أنه زجاجي، وما إن سحبته حتى تأكدت أنه زجاجي فعلا، فالصوت الهائل الذي سمعته كان يوحي بأن عشرات الأكواب الزجاجية قد وقعت على الأرض وتكسرت. لقد كانت ملحمة جذبت أسماع وأنظار وفضول جميع المتسوقين، والجميع كان ينظر ويقول: يا للهول، إنه مجزرة لأكواب الجبن.

بلغة الأرقام يمكن الحديث عن عشرات الأكواب التي تكسرت.

وبلغة المال فإن الخسارة تتجاوز الألف درهم.

وبلغة النظام فإن الفوضى كانت عارمة.

لكن بلغة المشاعر لم يكن لأحد أن يقدر المشاعر التي مررت بها: الخوف، الندم، الحزن، العجز، اليأس، الإحراج، الإحباط... كل ما يمكنك أن تتخيله من المشاعر السلبية مرَّ عليّ.

غضب من الوالدين، وحنق من صاحب المحل، وتعاطف من المتسوقين. كل ذلك لم يكن يشكل عندي أي أهمية، فالوضع الداخلي الذي كنت أعيشه كان شيئا لا يمكن أن يوصف.

مرَّ هذا الموقف، وتكرر. وما زال قابلا لأن يتكرر. لكن الحياة علمتني ألا أكف عن المحاولة؛ فهذا حق. وعلمتني أيضا أن أكون حذرا في كل الأمور.

الفصل الخامس

نون والقلم وما يسطرون

نون والقلم وما يسطرون

الشوارع تقود إلى كل مكان. ثمة طرقات نسلكها بالسيارة، وأخرى تقودنا إليها خطوات الأقـدام. أحببت طريقا كـان يأخذني إلى مسجد مصعب بن عمير في منطقة الناصرية. هناك حين أخلع نعلي خارج المسجد، وأجلس في زاوية المسجد على سجادة ناعمة، وأحس بخطوات المصلين تتجه كلها باتجاه واحد إلـى القبلة، بعضهم في هدوء وسكينة وبعضهم مهرول.

أسمع تكبيرات الإمـام، وأحس بحركات أجساد المصلين تتبع الصوت، وكـان خيالي يتابع الأصـوات والحركات. أترقب كلمة "آمين" وربما نطقت بها مع المصلين. وأتلهف لسماع القرآن، وكثيرا ما كانت تجذبني الآيات بتناغمها اللفظي الرائع.

"القارعة، ما القارعة"

"كلا بل لا تكرمون اليتيم"

"نون والقلم وما يسطرون"

حين سمعني أبي أردد هذه الآيات شعر بأني يمكن أن أكون قريبا من القرآن، فأخذني إلى إمام المسجد، كان اسمه الشيخ فاروق. حين قدمني أبي له، أحسست بأن يديه تتحسسان جسمي الضئيل، فعرفت أنه مثلي يتحسس العالم بيديه، مجرد لمسة بسيطة أعطته انطباعا عن صغر سني وضآلة جسمي، فقال لأبي: إنه صغير جدا، لم يدخل المدرسة، ولا الروضة، كيف يمكن له أن يحفظ؟

لكنه مع ذلك أدخلني في حلقة القرآن في المسجد، وصار طريقي إلى المسجد يوميا طريق معرفة وعلم، كنت سريع الحفظ، فقّتُ أقراني، واستحوذتُ على ثناء معلمي. وفي الوقت الذي كان فيه الشيخ فاروق قاسيا على زملاء حلقة التحفيظ، فإنه كان سمحا متسامحا معي.

وهذا أدى إلى أن أنطلق في الحفظ، وخلال فترة وجيزة كنت قد أتممت حفظ جزأين من القرآن الكريم، فكانا رصيدا جيدا يمكّنني من دخول الروضة.

كانت أمي تشعر بالفخر؛ إذ إنّ الأطفال يدخلون الروضة ويخرجون منها وقد حفظوا ثلاث سور من جزء عم، ويعدون ذلك إنجازا!!

وأنا أدخل الروضة وأنا أحفظ جزأين.

كانت أمي تمضي إلى الروضة بثقة كبيرة، لكن الأيام كانت تخبئ مفارقة أخرى.

الفصل السادس

الجرس المرعب

الجرس المرعب

الحياة ليست منصفة على الإطلاق؛ فآمالك وأحلامك كافة يمكن أن تتحطم بقرار غيرك، وسوف يكون الأمر مؤلما وجارحا حين تحس بغياب العدالة.

أحسست بيد أمي تتعرق حين وقفت أمام مديرة الروضة لتقنعها بقبول تسجيلي في الروضة، والمديرة ترفض بإلحاح خوفا من المسؤولية.

حاولت والدتي أن تدفعني لقراءة سور من القرآن الكريم كي أثبت لها أني سريع التعلم، لكن الآيات تجمدتْ على شفتيَّ، فلم أقرأ.

ربما يكون ذلك معبرا عن حالة احتجاج داخلي ورفض للظلم وعدم اعتراف بمعايير التعامل مع طفل يراد له أن يكون محروما من حق

لا يرى أي مبرر يجبره على إثباته. فهذا حقي وكفى.

آلمني أكثر أن المديرة نظرت إلى ضآلة جسمي كمبرر مساعد على الرفض، وبررت ذلك بخوفها عليّ من أن أصاب بأذى أثناء الفسحة أو أثناء ركوب الحافلة.

قاتلت أمي بضراوة، رفضت أن أُحْرَم من التعليم بحجة الخوف، وغضبت من عدم تحمل البعض المسؤولية، وزأرت في وجه المديرة كلبؤة تدافع عن أشبالها: وهل البديل هو الجهل؟ وهل جربت أن تبقي ابنك في البيت بحجة أنك تخافين عليه؟

أمام إصرار الوالدة لم تجد المديرة بدًّا من الموافقة، على أن تتولى الأسرة مهمة توصيلي من البيت إلى الروضة يوميا.

في الحقيقة قامت الأسرة بما هو أكثر من ذلك، إذ إنّ التوصيل لم يكن إلى باب الروضة، وإنما إلى باب الفصل. لست أذكر ما هو الفصل، ولكني لا أنسى أبدا ذلك الجرس المرعب الذي كان يقرع فيهلل الأطفال فرحين، ويخرجون مسرعين، ثم يعم الصمت.

هذه اللحظة كانت من أصعب لحظات الحياة عليّ، فأنْ يعم الصمت فجأة ويغادر جميع الأطفال، وأبقى وحيدا بين جدران أربع، لهو أمر مرعب فعلا!

لم يتكرر هذا الأمر معي في سنوات الدراسة الأخرى، فغالبا ما يكون لدي صديق يؤنس وحشتي، وأتناول معه إفطاري في فترة

الاستراحة. وحين أفكر اليوم في هذه اللحظات أجد أنه ليس من الإنصاف أن أطالب أطفالا صغارا في الروضة أن يعوا أهمية أن يُراعَى صديقُهم الكفيف. ليس من الإنصاف بالمرة.

كان ردي على حالات الرعب تلك بعض الدموع، وأصوات البكاء العالية المتحشرجة في الصدر. عندها تنتبه المعلمة وتقول: أنا معك حبيبي.. فلا تخف.

الفصل السابع

أشكال وألوان

أشكال وألوان

في رياض الأطفال، يتعلم الأطفال باللعب، يلعبون ليتعلموا، أجمل ما في هذه المرحلة أن كل شيء جديد، وكل خبرة مثيرة، وكل معلومة فتح عظيم.

حين تسأل المعلمة، أكون أول مَنْ يجيب، لم يكن عندي مشكلة أبدا في أن أتحدث، لم يكن عندي مشكلة أبدا أن أمارس أي نشاط مع زملائي، لكن الكلمات تتبعثر في أفواه المعلمات حيث يكون الحديث عن الألوان.

ماذا يعني اللون البنفسجي لطفل كفيف في الروضة؟ وما الفرق بينه وبين اللون الأزرق؟ ماذا يعنون بألوان الإشارة الحمراء والصفراء والخضراء؟ والفتاتان اللتان اختلفتا على ملكية لعبة ما ولم يحسم الخلاف بينهما إلا لون اللعبة. كيف استطاعتا حل هذا الخلاف؟

كانت هذه التساؤلات على بساطتها عميقة جدا، كانت تعني لي الكثير. فبالنسبة لي لم يكن هناك إلا اللون الأسود. الذي لم أجد من عبر عنه إلا الشاعر علي الجارم في قصيدته التي درستها في المرحلة الثانوية:

فإذا نِمْتُ فالظَّلامُ أمامِي أَوْ تيقَّظْتُ فالسَّوَادُ حِيالي
أَتَقَرَّى الطّريقَ فيهِ بِكَفِّي بين شَكٍّ وحَيْرَةٍ وضَلال
وأُحِسُّ الهواءَ فهْوَ دَليلِي عن يَميني أَسِيرُ أَوْ عَنِ شِمالي

كنت أشعر بالحيرة التي تنتاب المعلمة حين تبدأ بالحديث عن الألوان للأطفال، كنت في حاجة ملحة للسؤال ولكني كنت أكتم أسئلتي، وأبحث عن الإجابة في أعماق صدري وعقلي.

لم يكن يزعجني في حصة الفن أن يلون الأطفال، فما أجمل الحياة بالألوان!

أما الأمر الذي كان يمتعني بالفعل فهو الأشكال، أتحسس بيدي مجسما ما وأخبر المعلمة أنه: مربع أو مستطيل أو مثلث أو دائرة.

كنت أجد متعة كبيرة في اكتشاف أشكال الأشياء، "هذا مربع".

صرخة الإنجاز الأول لا يعادلها أي إنجاز. في حقيقة الأمر كان الأمر عاديا بالنسبة لي، أما بالنسبة للأطفال الذين كانوا معي في

الصف، فقد كان الأمر مبهرا. أعتقد أن بعضهم أحس أن في الأمر شيئا من السحر.

لكن الإنجاز في جميع الأحوال كان يستهويني، ويدعوني إلى إنجاز أكبر. كنت بالفعل أبحث عن الإنجاز الأكبر.

عدة أشهر ممتعة من الدراسة في الروضة، أثارت فيّ حب التعلم، وأشبعتْ فيَّ استكشاف المزيد والمزيد. متعة التعلم لا تعادلها متعة. ولكن المتع للأسف لا تدوم، ومهما كان الطريق جميلا وميسرا، فلا بد من ظهور المطبات والعوائق.

الفصل الثامن

لا مدرسة لك

لا مدرسة لك

وهنا بدأت رحلة معاناة أخرى للوالدين. كيف يمكن لي أن أدرس في الصف الأول في ضوء عدم القدرة على إجبار المدارس الحكومية على قبول الطالب الكفيف؟ أين – إذًا – يمكنني أن أكمل دراستي؟ وهل سأكتفي بأساسيات القراءة والكتابة بلغة برايل التي علمتنيها الوالدة؟

لا أخفي أن مديري بعض المدارس الحكومية أبـدوا استعدادا للتعاون، لكنه كان من الصعب أن أجلس في بيئة دراسية غير مهيأة وسط 38 طالبا في الصف الواحد.

الوالدان مجددا يحاولان ولا ييأسان. وكان الحل في المراكز التي تديرها وزارة تنمية المجتمع، وكان المركز الأقرب هو مركز دبي

لرعاية وتأهيل المعاقين. وهناك بدأت قصة استمرت 4 سنوات.
كان من شروط الالتحاق بالمركز أن أجتاز سنة تمهيدية في لغة برايل. لكن بركة الوالدة حلت عليّ هناك، فبفضل جهدها معي في سنوات ما قبل الروضة، وخلال فترة الروضة، أتقنت لغة برايل، ولم أعد بحاجة إلى السنة التمهيدية، فقد اجتزت متطلباتها في شهرين. ودخلت الصف الأول مباشرة.
في هذه السنوات الأربع، مرت علي سنوات من الإحباط كان يمكن أن تنهي مسيرتي في التعليم. لكن الصبر عاقبته جميلة.
لا بد أولا أن أقدم كامل التقدير لكل معلم علمني حرفا، وكل المحبة لكل معلمة بذلت معي جهدا. ثم بعد ذلك أسمح لنفسي أن أقف موقف المحلل لا المقيّم للسنوات الأربع التي قضيتها في المركز.
لا يمكنني أن أنسى أن جسمي الضئيل كان يئن تحت ضربات كانت تأتيه، ولا يراها. يحس بها حين تقع ولا يستطيع أن يتوقعها ليتجنبها.
لا يمكنني أن أنسى لحظات من القهر من صراخ يصمّ الأذن.
ولا يمكنني أن أنسى لحظات الرعب في الحافلة المدرسية حين أتعرض للاضطهاد من أصحاب الإعاقات العقلية.
طوال هذه السنوات الأربع كنت أعود للبيت محبطا، آملا أن يكون الغد أفضل، يأتي الغد فيكون كما الأمس. فأمد حبال الآمال بأن

العام القادم سيكون أفضل، ولا جديد يوحي بذلك. بدأت أفقد شهيتي للعلم، وبدأت أفكر جديا في أن أتخذ قرارا.

الفصل التاسع

لا أريد المدرسة

لا أريد المدرسة

المفارقة العجيبة هي أنني بعد أن كنت أتحرق شوقا للمدرسة وأتوق إلى التعلم، أصبحت أكره المدرسة وأضجر منها. حالة الإحباط اليومي التي كنت أعيشها باستمرار كانت تزداد مع الأيام.

خوف صباحي يومي من الذهاب للمدرسة، تصاحبه تقلصات في المعدة، وفقدان للشهية.

ضجر مسائي متكرر من المهام المدرسية التي يجب أن تنجز كي لا يكون العقاب المبرح.

أمام هذا الوضع النفسي الصعب لم يكن أمامي سوى أن أعلن الرفض: لا أريد المدرسة، لن أذهب إليها مجددا.

فاجأ هذا الأمر الوالدين، وظنا أنه مجرد تنفيس عن ضيق وغضب

آني. لكني فعلا كنت جادا وأصررت على هذا القرار.

اليوم أتعجب من جرأتي باتخاذ قرار مثل هذا القرار. لكني أدرك تماما أن أفكارنا في الصغر تشكل حياتنا في الكبر.

فحين أجد نفسي اليوم اختصاصيا في الإعاقة البصرية في وزارة التربية والتعليم أدرك أن هذا الخيار الذي مضيت فيه اليوم هو بسبب فترة المعاناة التي صاحبتني في مراحل التعليم الأولى.

صرت أدرك أننا بحاجة إلى معلم يفهم معاناة الكفيف، ويتعاطف معه، ويكون مؤهلا لتدريسه، يعطيه المعرفة بحنان، والسلوك بحب، والمهارة بثقة.

ثمة عبارة تقول "كن أنت التغيير الذي تريده للعالم". وهذا ما تم فعلا؛ فلم يكن لقرار الانقطاع عن المدرسة أن يكون هو الحل. الحل هو أن أسعى في تغيير الصورة القاسية والممارسات المحبطة والمنفرة التي تعرضت لها في طفولتي بأن أخلق النموذج الذي أريده أن يكون.

وهذا ما كان. فلم يكن لقرار طفل غاضب أو خائف أو محبط أن يفرض نفسه على أم واثقة وأب طامح. ولذا فقد واصلت رحلة التعلم في مراحل التعليم الأولى على صعوبتها ومشقتها إلى أن لاح أمل.

ففي عام 2003 صدر قرار وزارة تنمية المجتمع بدمج ذوي

الاحتياجات التعليمية الخاصة من "أصحاب الهمم" في مدارس التعليم العام.

كنت يومها في الصف الثالث الأساسي، وكان بالإمكان أن أذهب مباشرة إلى المدارس الحكومية في التعليم العام، لكن ظروف ترتيب المدارس والاستعداد لتنفيذ القرار أخّر عملية الدمج، وأكملت سنتي هذه في مركز تأهيل المعاقين وأنا أتحرق شوقا إلى أن أجلس على كرسي اعتيادي في مدرسة اعتيادية، لا أحس بالفرق بيني وبين أي من أفراد المجتمع.

يقول المثل المحلي "كف صفعني نفعني". كلمة الشكر والتقدير والمحبة واجبة لكل أولئك الذين علمونا حرفا. آملا أن نكون مثلهم في النفع لا في الصفع.

الفصل العاشر

حطين والقاسمية

حطين والقاسمية

لأنك تعيش في الشارقة، فأنت تعيش في نبض العروبة. السكن في الناصرية يجعلك تتشبع بروح النصر العربي وكأنك تعيش في عراق العروبة. أما حين تبحث عن مدرسة للتعليم الأساسي، فأمامك خياران: القاسمية حيث النضال العربي العريق والصولات والجولات في الخليج العربي، أو حطين التي تجعلك تحلق بروح وهمة صلاح الدين.

ذهبت والدتي إلى مدرسة القاسمية إذ هي الأقرب إلى منطقة سكننا، ولم توفق الوالدة بالحصول على قبول لي فيها لأسباب تتعلق بتجهيزات المدرسة، فالصف الرابع كان في الدور العلوي، وثمة عوائق كثيرة في المدرسة تمنع انسيابية حركتي فيها. يبدو

السبب وجيها. ولذا كان توجهي للخيار الثاني.

مدرسة حطين، كانت هي الخيار، وكانت حسن الاختيار. الأمر المؤلم الوحيد هو تلك الورقة المجحفة التي أجبرت الوالدة على توقيعها، ورقة "إخلاء مسؤولية".

عموما، فقد كانت الوالدة على قدر التحدي، وأثبتت للمدرسة أن الأمور تحت السيطرة، بل وفوق ما يتوقعون. فبفضل الدراسة الصيفية لمناهج الصف الرابع دخلت الفصل وأنا ملم بجميع الموضوعات، فكان لي قدم سبق على زملائي، وكان مفاجئا للمديرة أنني حصلت على المركز الأول في المدرسة.

وجدت نفسي في عالم أحبه، هذا هو عالمي. مبصر بين المبصرين. فرد من المجتمع، كأي فرد. ليس ثمة من هو أحسن مني، ولست أحسن من أي أحد.

حصولي على المركز الأول في المدرسة لم يكن إنجازي وحدي، أمي التي قدمت لي خلاصة جهدها ومعرفتها.

معلماتي اللواتي قدمن لي الحرف في قالب حنون، والكلمة بكل رفق، والجملة بسهولة ويسر، والأرقام بلغة المشاعر.

الاختصاصية الاجتماعية التي دعمتني في الأنشطة اللاصفية.

مديرة المدرسة الأستاذة بتول – رحمها الله – التي طلبت من الوالدة أن توقع ورقة "إخلاء المسؤولية"، ثم عادت واعترفت بأنها

كانت على خطأ. وقالت: "رُبَّ خطأ يعلمنا الصواب".

في المدارس الحكومية، انطلقت من التفوق الصفي إلى المشاركة في المسابقات، وبدأت أضع لي بصمة في المؤسسات المجتمعية. بدأت أشعر بأني جزء له أهميته ودوره ليس في الأسرة فقط، ولا في المدرسة، بل في المجتمع بأسره.

الفصل الحادي عشر

الجائزة

الجائزة

لم يكن قرار دمج ذوي الاحتياجات الخاصة في التعليم العام قرار وزير، إنه قرار مصير. فبفضل هذا القرار أتيح لي أن أنافس، وأن أطور مهاراتي، وأن أشعر أني عضو كامل في المجتمع، وترسخ في ذهني أني لست أقل من أحد، ولست أفضل من أحد. المعيار والمحك في المفاضلة بيني وبين الآخرين هو ما ننجزه.

يقول الشاعر:

قيمة الإنسان ما يحسنه أكثر المرء بهذا أو أقل

وضعت في ذهني أن أتقن وأحسن عمل كل شيء أقوم به. أحرص دائما على المركز الأول وأنا أستشعر قول صاحب السمو

الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم (رعاه الله):

بيني وبين الليالي عهد ما رده إني وشعبي نحب المركز الأول

في مدرسة حطين كانت الانطلاقة، فقد سمعت عن جائزة الشارقة للتفوق والتميز التربوي من الاختصاصية الاجتماعية، وكانت محاورها ومعاييرها منطبقة عليَّ:

ففي مجال العرض والتواصل بدأت أكون مجموعة من المهارات اكتسبتها من خلال الجرأة والثقة بالنفس وتنمية الحصيلة اللغوية بحفظ القرآن وقراءة الكتب.

وفي مجال المواهب والهوايات كان القرآن الكريم موهبتي التي سعيت إلى تنميتها.

كما سعيت لتقديم مشاريع ابتكارية وإبداعية متناسبة مع مستواي العمري في تلك المرحلة.

أما الأنشطة والمسابقات والجوائز، فقد كنت أحس بلذةِ المشاركةِ في الأنشطة المختلفة التي تنظمها وزارة التربية والتعليم وتشارك فيها مدرستنا، وكنت أحس بمتعة في البحث عن مسابقات في مختلف الفئات وأشارك فيها، ولعل من أولى المسابقات التي شاركت فيها جائزة لطيفة لإبداعات الطفولة، وحصلت فيها على المركز الثاني في فئة حفظ القرآن.

وحرصت في تلك السن المبكرة على تقديم خدمات تطوعية ومجتمعية، والمشاركة بنشاطات التنمية الذاتية، دون أن أغفل عن تقييم مهاراتي وتطويرها باستمرار.

لست أذكر أني بذلت جهدا كبيرا في إعداد الملف، كل ما فعلته هو تنسيق وتوثيق الأعمال ووضعها في إطار موحد ومنظم.

لم أكن أشعر بالتوتر، لم أكن أنتظر الفوز بشغف، لم يكن يهمني الفوز أصلا، فقط كنت أستمتع بالإنجاز والإحسان والإتقان. مجرد بناء مهاراتي وتطوير قدراتي كان يشكل لي لذة ما زلت أستشعرها إلى هذا اليوم.

ورغم أن جائزة الشارقة للتفوق والتميز التربوي كانت هي الجائزة الأولى من الجوائز التربوية الكبرى التي أشارك فيها، إلا أني كنت أعتبرها كأي مسابقة محلية على مستوى المدرسة، لم أكن أدرك وأنا في الصف الخامس حينها أنني موعود بجائزة سوف تغير مسار حياتي.

الفصل الثاني عشر

فليخلع النظارة

فليخلع النظارة

تلقت والدتي اتصالا مبشّرًا من جائزة الشارقة للتفوق والتميز التربوي، كانوا يطلبون من الوالدة صورة شخصية للطالب عبد الله عوض مبروك بالليث من الصف الخامس بمدرسة حطين.

استجابت والدتي للطلب مباشرة، وأرسلنا صورة ثانية، رغم أننا كنا قد أرفقنا صورة في الملف للمرة الأولى.

جاء الاتصال مرة ثانية، بأن الصورة غير مناسبة بسبب النظارة السوداء التي يرتديها الطالب، كان الطلب صريحا: "فليخلع النظارة قبل التصوير". وتبعه سؤال: "لماذا يرتدي النظارة أصلا؟" كان الجواب مفاجئا للمتصل: "لأنه كفيف".

عبارات الاعتذار والأسف التي أبداها المتصل كانت كثيرة جدا،

أما ردنا فقد كان بسيطا جدا: "لا شيء يدعو للاعتذار أو الأسف".
وفي حقيقة الأمر فقد كنا في شعور يتعدى الثقة بالنفس إلى الفخر بالمنجز، كنت أقول لنفسي بكل فخر:
لم أفز شفقة أو تعاطفا من المحكمين، بل فزت لأن المنجز فرض نفسه.
أنا عضو كامل في المجتمع، وتفوقت على أقراني من الأسوياء.
يبدو الأمر طريفا، لكنه عميق في دلالته، بما يحمله من دمج وعدم تحيز، ومساواة في الحقوق.
وكان اليوم الكبير في الخامس والعشرين من شهر إبريل، وفي قصر الثقافة وبحضور راعي الثقافة، صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي – حفظه الله – كان التكريم في حفل تكريم الفائزين في الدورة العاشرة من جائزة الشارقة للتفوق والتميز التربوي.
اصطفاف الفائزين وجلوسهم بشكل منظم في المقاعد المخصصة لهم في المسرح، كان شعورا سرياليا أعيشه للمرة الأولى.
فقرات الحفل المنظمة التي بدأت بالسلام الوطني، عمقت لَديَّ شعور الانتماء لهذا الوطن. سمعت السلام الوطني وكأني أسمعه للمرة الأولى، إنه شعور مختلف عن وقوفي في الطابور الصباحي لسماع النشيد الوطني.

كلمة الفائزين جعلتني أفكر في تكرار التجربة مرارا، لأقف في المرة القادمة على المنصة وألقي الكلمة نيابة عن زملائي.

أما الشيء المبهر فعلا فهو لحظة استلام الجائزة من صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي. إنه شخصية ملهمة: لقاؤه إلهام، مصافحته إلهام، وكلماته إلهام. حضور سموه حفل التكريم، ووقوفي أمامه، والكلمات المشجعة التي سمعتها منه، كل ذلك أشعرني أنني لست أمام جائزة اعتيادية، إنها جائزة العمر، وبها بدأت مرحلة جديدة من مراحل العمر.

الفصل الثالث عشر

تفجر الطاقات

تفجر الطاقات

حصولي على الجائزة فجر مواهبي فعلا. أدركت أن المدرسة ليست إلا وسيلة من وسائل الحياة. إنها ليست هدفا.

تذكرت على الفور، نضال والدتي ووالدي من أجل إلحاقي بالروضة، ثم بالمدرسة. كنت أفرح مع كل باب يفتح، لكني كنت أحزن أشد الحزن حين ترفض مدرسة ما أن تفتح لي أبوابها.

اليوم.. وبعد حصولي على جائزة الشارقة للتفوق والتميز التربوي، أدركت أن الحياة طريق طويل، مراحله متعددة، وعقباته متنوعة. ونجاحنا في تحدي العقبات يفتح لنا أفاقا أوسع، أما فشلنا فإنه يزيدنا قوة، وقد يكون سببا لإغلاق أبواب من الشر لا ندركها، لا بالبصر ولا بالبصيرة.

ها أنا اليوم أمام مفترق طرق جديد، وأطرق أبوابا جديدة.

أنهيت مرحلة الحلقة الأولى من التعليم الأساسي، وصرت على أبواب الحلقة الثانية.

من مدرسة إلى أخرى، ومن معلمات إلى معلمين.

كان الخيار أن ألتحق بمدرسة خالد بن محمد فهي الأقرب للسكن، لكني لست أدري ما الحكمة من ذهابي إلى مدرسة علي بن أبي طالب في منطقة الصبيخة.

كان لا بد من موافقة المدير، وهذه المرة لم يتردد للحظة، فمن الذي يرفض طالبا فاز بجائزة الشارقة للتفوق والتميز التربوي؟

لكني كنت فقط متخوفا من التعامل مع المعلمين. وكم من أشياء نخافها في الحياة ثم نكتشف أنها أفضل مما كنا نرجو. وصدق الله العظيم: "وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم، والله يعلم وأنتم لا تعلمون".

ما كنت لا أعلمه أني سألتقي بالأستاذ أحمد العبدولي مدير مدرسة علي بن أبي طالب، فيظل لقاؤه ضمن ذكريات العمر.

وما كنت لا أعلمه أني سألتقي بالأستاذ خضر ثابت، فتظل خبراته التي نقلها لي من ضمن حصيلة العمر.

وما كنت لا أعلمه أني سألتقي بالأستاذ عماد المدرك، فيعمل معي لساعات طوال، ولأيام متواصلة من أجل تطوير أعمق للشخصية.

الأستاذ أحمد العبدولي، من أقدم المديرين في الشارقة. ارتبط اسمه بمدرسة علي بن أبي طالب، فقادها منذ الثمانينات من القرن الماضي حتى العقد الثاني من القرن الحالي.

حين تدخل مدرسة علي بن أبي طالب سوف تجد في واجهة المدرسة عشرة أسطر تعريفية بالصحابي الجليل علي بن أبي طالب. كتبت هذه النبذة التعريفية عام 1984 بفكرة من أحمد العبدولي، حيث أقام مسابقة بين الطلاب يحثهم فيها على كتابة نبذة تعريفية بالصحابي الذي سميت المدرسة باسمه.

شارك في المسابقة أغلب طلاب المدرسة، أو ربما جميعهم؛ فقد كانت المسابقة سهلة، وكانت جوائزها مغرية، والمدرسون حثوا الطلاب بإلحاح على الاشتراك في المسابقة من خلال توظيف حصة الكتابة الإبداعية لخدمة هذه المسابقة.

الطالب الذي اختيرت مساهمته للفوز، وكرم في الطابور عام 1984، وقف في صبيحة يوم بارد من عام 1995 أمام اللوحة التي وضعت بجانب مكتب المدير ينتظر قدوم المدير ليسلمه أوراق تعيينه مدرسا للغة العربية في المدرسة. وحين قدم المدير كان هو نفسه أحمد العبدولي.

سأله المدير في مودة: يبدو وجهك مألوفا، هل التقينا في أحد مساجد الشارقة؟

قال المعلم: لا. التقينا منذ 13 سنة في منصة الإذاعة لأستلم جائزة الفوز في مسابقة النبذة التعريفية المعلقة هنا.

هذا المدرس عاد بعد 13 سنة أخرى زائرا للمدرسة في زيارة رسمية بعد أن حصل على الدكتوراة، فوجد الأستاذ أحمد العبدولي بالروح المعطاءة ذاتها، وبالهمة ذاتها، وفي المدرسة ذاتها. ولفترة من الزمن كان اسما مدرسة (علي بن أبي طالب) والمدير (أحمد العبدولي) متلازمين تلازما ثابتا.

بالنسبة لي، لم أستغرب هذه القصة حين رواها لي صاحبها، فأنا أعرف هذا الرجل جيدا، وأعرف أنه متواضع ومحبوب جدا.

في لقائي الأول معه في الطابور، تقدمت إلى منصة الإذاعة لاستلام جائزة ما، ومددت يدي محاولا أن أصافحه، لكنه أعطاني أكثر من المصافحة، فقد قربني إليه يريد أن يحتضنني، ولم أدرك ساعتها سبب ذلك، ولم أعِ سبب اقترابه مني، لكني حين ضم رأسي الصغير في حضنه أدركت أني لم أستلم جائزة تكريم رسمية فحسب؛ بل حصلت على حضن أبوي دافئ.

في الفترة التي قضيتها في مدرسة علي بن أبي طالب، كان يوم المدرسة الدراسي لا يكتمل عند الأستاذ أحمد العبدولي إلا أن أكون على منصة الإذاعة: قارئا للقرآن، أو خطيبا، أو ملقيا قصيدة شعرية، أو مستلما شهادة تقدير أو جائزة تكريم.

ذهب الأستاذ العبدولي أبعد من ذلك، حين قدمني لإلقاء كلمته الشخصية في محافل رسمية وبحضور مديرة المنطقة التعليمية، في لفتة لا يجرؤ كثير من المديرين على عملها؛ فهذا أمر لا يفعله المدير وإنما يفعله القائد.

كان يفتخر بي كثيرا، وكلما قدمني لأحد ما كان يقول: إنه حائز على جائزة الشارقة للتفوق والتميز التربوي.

وكان يتمنى أن أحصل على الجائزة باسم المدرسة، لكن فوزي بالجائزة قبل التحاقي بمدرسته حين كنت في مدرسة حطين، كان يمنع عليّ أن أتقدم لها قبل انقضاء ثلاث سنوات من فوزي الأول بالجائزة. وحين أتيحت لي الفرصة بأن أرد له الجميل وأشارك في مسابقة حمدان بن راشد للأداء التعليمي المتميز وأفوز بها، فرح بذلك، وأصبح يُسجِّل في سجل المدرسة سطرا أفخرُ بي كما يفخرُ المدير به، كان يقول: "إنه أول طالب من المدرسة يفوز بهذه الجائزة التربوية للمدرسة منذ تأسيسها من 22 عاما".

قبل أن أطوي صفحة مدرسة علي بن أبي طالب، أذكر مدرسا كان له فضل كبير عليّ، وترك ذكرى طيبة في قلبي، ليس لأنه يبدأ حصته يوميا بأن ينادني باسمي ويعطيني قطعة من الحلوى، أرجو أن تنتبهوا لكلمة "يوميا".

الأستاذ خضر ثابت، معلم اللغة العربية، رافقنا في رحلة مدرسية

إلى حديقة الحيوانات، ممارسته لدوره التربوي والإشرافي باقتدار في الرحلة شجعني على أن أكتب تقريرا عن الرحلة وأحضره للمدرسة. في اليوم التالي طلب مني أن أقرأه على زملائي ففعلت، ومن يومها صارت مسألة الكتابة عندي أكثر من مجرد واجب مدرسي. أصبحت الكتابة عندي هواية ودراية وحماية، ممارسة ومقابسة ومدارسة، عشقا وذوقا ورتقا، علاجا وسياجا ورتاجا.

تعدى الأمر الكتابة إلى الخطابة، فلأني أقدم مقالاتي وكتاباتي له شفاهة، فقد لاحظ عندي قدرة على الإلقاء والتمثيل وتمثل المعنى، ثم تطور هذا الأمر من إلقاء في الصف، إلى وقوف على منصة الإذاعة، وما زلت أذكر إلى الساعة الخطبة الأولى التي كتبتُها وألقيتها في الإذاعة، وكانت عام 2004 بعد أيام من رحيل الشيخ زايد رحمه الله تعالى.

ولم يتوقف الأمر عند الخطابة، فإذا به يشجعني على أن أحفظ الشعر وألقيه. والشعر محبب إلى قلبي، وأرى فيه إعجازا وإبهارا. أراه معجزة حقيقية من معجزات اللغة العربية. أرى في الشعر وسيلة لبناء شخصية يصعب هزيمتها في هذه الحياة؛ فهو رسول الوجدان والقلب، وهو رسول العقل والفكر.

حبَّبني الأستاذ ثابت بالشعر، وبحث معي في كتب الشعر عن موضوع جميل، فوجدنا أبياتا أعجبتنا، فكتبتُها وتدربت عليها،

وكان يوم التقديم:

أحبُّ الفتى أن يســـــتقلَّ بنفسهِ فيصبحَ في أفكـارهِ مُطْلَقًا حُرًّا
وأكـرهُ مِنْه أنْ يكــونَ مُقَلِّدًا فيُحشرَفي الدُّنيا أسيرًا مع الأسرَى
إذا كانَ في الأوطـانِ للنّاسِ غايةٌ فحريةُ الأفكــارِ غايتُها الكُبرى
إذا السَّيفُ لم يَعْضُدْهُ رأيٌ محرَّرٌ فلا تـأمَلَنْ من حَدِّهِ ضَربةً بِكرا

كان حفظي متقنا، وكان إلقائي معبرا، وصوتي عاليا واضحا منغما، وبدوت واثقا من نفسي وأنا أحرك يدي يمينا وشمالا، وأوزع نظري على الجمهور كله.

وما أن انتهيت حتى كان التصفيق عاليًا عاليًا جدا.

الفصل الرابع عشر

عبر الأثير

عبر الأثير

الأثير هو مادة تملأ كل الفضاء الكوني؛ فقد افترض العلماء وجوده لأنهم لم يستطيعوا أن يفسروا كيف أن الضوء والصوت يمكنهما أن يسيرا من دون وسيط (مادة يسير خلالها). وحين نقول عبر الأثير، فإننا نعني الإذاعة.

الإذاعة كانت شيئا محببا لي، بدءا من الإذاعة المدرسية، ومرورا بالمشاركات والمداخلات الإذاعية التي كنت أحرص عليها، وخاصة في إذاعة الشارقة، وانتهاء باستضافتي في إذاعة الشارقة في برنامج تربوي كان يقدمه الموجه التربوي سيف المطوع.

يقول الناس إنّ زمن الإذاعة قد انتهى. لكن الزمن يثبت أن الإذاعة تبقى ذات طابع خاص وحميمي بين وسائل التواصل الاجتماعي.

وليس أدل على ذلك من كم المستمعين المتزايد، وكثرة المتصلين الذين صار بعضهم ذا شخصية اجتماعية معروفة ومحبوبة.

كنت مستمعا مخلصا للإذاعة، أتابع برامجها الدينية والعلمية والحوارية والاجتماعية. أستمتع بنغمات نشيدها، وأطرب لفواصلها. بحق لقد شكَّلت الإذاعة جزءا من شخصيتي، وكوَّنت معارفي، ونمَّت مهاراتي، وقوَّمت سلوكي.

لكني أسعى دائما أن أكون ذا أثر، وأن أكون مرسلا ومستقبلا في الوقت ذاته. ولذا فقد كنت أتصل بالإذاعة وأنا في سن مبكرة، وأعرض مهاراتي اللغوية.

لكن ما أعتبره نقطة تحوّل وعلامة بارزة في علاقتي مع الأثير، هو جلوسي على طاولة الحوار مع الموجه التربوي سيف المطوع، في حوار عن التفوق والتميز، عن الإعاقة والقدرة. وقد كان أمرا غير مألوف أن يستضيف برنامجٌ تربوي ذو مرجعية تربوية معتبرة ومتابعة جماهيرية هائلة، طالبًا في المرحلة الإعدادية. لكن جائزة الشارقة للتفوق والتميز التربوي مفتاح ليس لفتح المدارس فحسب، بل لفتح أبواب الأثير وتمهيد الطريق نحو الإعلام.

ثمة عالم آخر دخلته بقوة بعد أن أبحرت في الأثير، إنه عالم التكنولوجيا. وربما يعجب بعض أصدقائي اليوم حين أرسل لهم في كل صباح رسائل عبر الواتساب تتضمن رسالة صباحية فيها

حكمة أو فكرة أو قضية. أو تحمل مقالا يناقش قضية اجتماعية تمر بمجتمعاتنا. أو عبارات وخواطر متنوعة من إنشائي، أو مقاطع صوتية ومرئية بأسلوبي الخاص. يعجبون من ذلك وما دروا أنني – كغيري من المكفوفين – نتفقد بريدنا الإلكتروني كما يفعل المبصرون تماما. ونكتب ردا عليه، فيصل إليهم بكل سهولة ويسر.

والحقيقة أني دخلت عالم التقنية من خلال دورات سعيت إلى تنميتها، وحرصت على أن أقيس تقدمي فيها، وأرصد الأثر الإيجابي الذي أتركه على المجتمع من خلال مهاراتي وهواياتي ومواهبي.

وحين تفتحون الصفحة 35 من استمارة جائزة الشارقة للتفوق والتميز التربوي سوف تجدون أن الجائزة تحرص بجلاء على أن يكون الفائزون فيها من أصحاب المواهب والهوايات الذين ينمون مهارتهم وموهبتهم، ويكون لها أثر في محيطهم.

الفصل الخامس عشر

جنوبا إلى العين

جنوبا إلى العين

شارقة سلطان الثقافة، لك حبي وعشقي. وإليك هذا الاعتذار.
فبعد مدارس الشارقة، وجائزة الشارقة، وإذاعة الشارقة، وجدت نفسي بين ليلة وضحاها مضطرا للانتقال من الشارقة إلى العين.
العين دار الزين، إنها المدينة الحالمة الوادعة الهادئة، مدينة الزهور والبنفسج والقلاع، مدينة الحضارة والعراقة والتاريخ، مدينة الحداثة والأصالة والمعاصرة.
فحين نتحدث عن العصر البرونزي فإننا نتحدث عن فترة حفيت التي تقع بين سنة 3200 ق.م وسنة 2700 ق.م، وحين نتحدث عن حضارة هيلي فإننا نتحدث عن الإنسان الذي عاش في العين منذ 3000 سنة. جميل. وما أثار هواجسي في هذه الفترة و حوار دار

بين الوالد والوالدة. فحواه أننا لا بد أن ننتقل للسكن في العين، فقد حصلت الوالدة على فرصة عمل في العين، وصار لزاما علينا أن ننتقل إلى هناك. وفي العين التحقت بمدرسة البيرق في الصف التاسع.

اليوم أنا أعشق العين، أحبها كما يحب العاشق الزهور. لكني لا أدري لماذا لا أشعر إلى الآن بالمودة تجاه مدرسة البيرق. أشعر أنها مظلومة بشعور الجفوة الذي أبديه تجاهها. أدرك الآن وأنا ناضج أن المدرسة ليس لها ذنب، ولكني لا يمكن أن أنكر الحقائق التالية:

للمرة الأولى تنخفض نسبتي في الدراسة من 99% إلى 94%.

للمرة الأولى في حياتي أدخل في مجتمع ما وأخرج دون صديق أو صاحب.

للمرة الأولى أحسست أني غير مرحب بي في المدرسة.

للمرة الأولى لا أجد مراعاة تحترم خصوصيتي في الدروس والواجبات والامتحانات.

للمرة الأولى أشعر بأني لا أنتمي إلى مكان ما.

لهذا كله ولأسباب أخرى كنت أشعر أني في المكان الخطأ، وكنت أتوق إلى الشارقة، أحلم بها، وبناصريتها، وبمساجدها، وبشوارعها، وبمدارسها، وإذاعتها، وبجائزتها.

تلك الجائزة التي أحسست أنها كانت مفتاحا فتح لي كثيرا من

الأبواب، وأنا اليوم أمضي في الحياة تائها بلا مفتاح. أترى أجد المفتاح مرة أخرى؟ وهل انتهت مسيرة التميز في حياتي، وبدأت مرحلة الحياة الرتيبة؟ تلك الحياة التي نفعل فيها الشيء مجبرين، نفعله أداء للواجب، من دون عشق ولا شغف، نفعله لأننا ينبغي علينا أن نفعله.

الفصل السادس عشر

المرحلة الثانوية

المرحلة الثانوية

لا بد ومن وقفة تقدير للمؤسسات التي تدعم الكفيف وتمارس دورها المجتمعي بإتقان وإخلاص. إن الفرد بحاجة إلى دعم دوما، ومن الظلم أن يتركك المجتمع فردا.

مؤسسة زايد للرعاية الإنسانية وذوي الاحتياجات الخاصة تلك التي وضعت لها رؤيـة ثاقبة وأعلنتها صريحة: "حقوق متكافئة تعمق السعادة والتمكين المجتمعي للأشخاص من ذوي الإعاقة" وسخرت الإمكانات كافة لتحقيق هذه الرؤية.

مجلس أبوظبي للتعليم الذي غدا عملاقا، بل ولد عملاقا، لكنه كان يفتقد في قسم القدرات الخاصة إلى معرفة وخبرة في دمج أصحاب الإعاقات البصرية واحتياجاتها التربوية، واحتياجاتهم

من الأجهزة والمصادر التعليمية، لكن ذلك لم يمنع من أن يلتفت لوجود طالب واحد في مدرسة الدهماء ويقرر أن يدعمه، بل يستعين به ليأخذ منه قائمة بالأجهزة والأدوات التي يحتاجها الكفيف، وبالفعل أشعر بالفخر بأني نقلت خبرتي إلى المسؤولين في القسم، وكان ذلك سببا في دعم عنصر مهم من عناصر العملية التعليمية، وهم الطلابُ ذوو الإعاقة البصرية، أو فلنقلْ "أصحاب الهمم والبصيرة".

مركز الشيخ محمد بن خالد آل نهيان الثقافي، الذي زين العين بعطائه العلمي والثقافي والاجتماعي، وقدم لي متنفسا وفضاء رحبا، لتنمية ذاتي والعودة إلى مضمار التميز.

الدهماء النموذجية التي اختتمت بها مسيرتي في التعليم العام، ووجدت فيها بيئة تختلف عن المدارس التي درست فيها سابقا، وجدت فيها رجولة شباب العين ونضجهم، صفاء أذهانهم واتقاد ذكائهم، ووجدت إدارة دعمتني وكان لها دور مهم في إنجازات ستأتي.

مديرها الأستاذ محمد الحنطوبي. أكثر من مجرد مدير؛ إنه خليط بين روح إدارية وروح إنسانية. الروح الإنسانية تعبر عنها كلمة أب، والروح الإدارية تعبر عنها كلمة قائد.

ومع ذلك فقد كان هناك بعض الصعوبات التي واجهتُها؛ فقد كان

نظام وزارة التربية والتعليم يدرس المواد العلمية باللغة العربية، أما مجلس أبوظبي للتعليم فقد كان يدرسها باللغة الإنجليزية، وحين وجدت نفسي في هذا المحيط الغريب علي أحسست بشيء من الغربة.

علاوة على ذلك، فبعض الكتب كانت جديدة ومن إنتاج المجلس، وبالتالي لم تكن متوافرة بطريقة برايل ضمن إصدارات مطبعة المكفوفين. وبالتالي لم تكن بيدي كتبٌ أذاكر فيها، وهذا الأمر شكّل علي ضغطا كبيرا.

الفصل السابع عشر

جائزة الشارقة مرة أخرى

جائزة الشارقة مرة أخرى

بدأت رياح الشارقة تهب علي في العين، وبدأت أستنشق عبير جائزة الشارقة للتفوق والتميز التربوي. فالمسألة بدأت بهذه الطريقة:

مؤسسة زايد للرعاية الإنسانية ورعاية ذوي الاحتياجات الخاصة تدعوني لتقديم دورة في التكنولوجيا للمكفوفين، ويا لها من متعة حين تقدم خبرتك ومعرفتك للآخرين. إنها متعة العطاء التي لا تضاهيها أي متعة، ولا حتى متعة الأخذ. لقد أشعرني هذا الأمر بأن لي تقديرا في المجتمع الذي انتقلت إليه. إنه يرحب بي ويعطيني أدوارا قيادية فيه.

قسم القدرات الخاصة بمكتب العين في مجلس أبوظبي للتعليم يكرمني كأول كفيف يحصل على نسبة 94% في المعدل النهائي.

لقد أشعرني هذا الأمر بتقدير كنت أفتقده.

مركز الشيخ محمد بن خالد آل نهيان الثقافي ينظم دورة فتحت آفاقا جديدة في حياتي، إنها دورة في التطوير الذاتي والتنمية الشخصية، كانت دورة طويلة ومنهجية، وخرجت منها وقد وضعت أمامي هدفا في الحياة: أن أضع بصمة في مجال الاستشارات الأسرية.

أذكر أنني في المرحلة الثانوية، كنت أدرس حالات أسرية، وأرشد أسرا وعائلات للاستقرار الأسري، ولست أدري إن كان هذا وضعا صحيحا أم إنّه خطوة متعجلة. قد يراه بعضهم خطوة حماسية متعجلة، ولكني أراه إرهاصا، وأشعر أنه تهيئة لنجاح أكبر. والله أكبر، وعليه الاتكال.

وفي حقيقة الأمر، فإن بضاعتي التي دخلت بها هذا المجال لم تكن بضاعة مزجاة بالطبع، ولم تكن مجرد دورة؛ فمن يدرس ويتتلمذ على يدِ الدكتورة ريما عودة يُدرك أن بعض الناس مدرسة. والدكتورة ريما من هذا النوع؛ فقد تواصلتُ معي شخصيا على مدى شهور لتفي بمادة علمية لم يقدر لها أن تستمر، ووجدتُ منها تجاوبا كبيرا.

أمام هذه الإنجازات التي بدأتُ أستعيد بها روح جائزة الشارقة، قررتُ أن أقدم مرة ثانية للجائزة. ولم يأخذ مني الأمر كثيرا من

الوقت أو الجهد، بل منح روحي فرصة للتحليق مجددا في الشارقة؛ تحليقاً حرًّا وهبوطًا موفقًا من العين إلى الشارقة. إنه الفوزُ بالجائزة للمرة الثانية.

عدنا والعود أحمد.

وما أحلى الرجوع إليه!

أتحدى أي شخص عاش تجربة الفوز بالجائزة مرتين أن يقرر ويحدد أي المرتين أكثر إثارة ووقعا في النفس.

إن قال الأولى، فهو صادق؛ فلكل جديد لذة، والتجربة الأولى لا تنسى.

وإن قال الثانية، فهو صادق؛ فالعودة إلى العشق الأول تحيي القلب الميت.

كلا الشعورين صادق، وكلا الفرحتين فرحة ذات بهجة. ويبقى المحك هو أن تضع نفسك على المحك، وتقدم إنجازك للمنافسة، وتسعى دائما لأن تجدد الفرحة، وتكرر الإنجاز.

الفصل الثامن عشر

صديق ورفيق

صديق ورفيق

عبد الله الكعبي. صديق كان معي بالأمس وأنا أكتب هذه الرحلة، لكن ليس هذا السبب الذي يدعوني لأن أكتب عنه.

عرفته في الصف العاشر بمدرسة الدهماء النموذجية في العين. وفي البداية كان اللقاء عابرا مع صديق مشترك هو علي الشامسي، ثم تعمقت العلاقة بسبب الاهتمامات المشتركة، وتعمقت أكثر حين جمعنا القسم الأدبي في الصف الحادي عشر.

كان خيار القسم الأدبي خياري المفضل بسبب ميولي الأدبية، ولم أتوقع أن أجد عبد الله هناك. دخل الصف وجلس بجانبي، وكان خلال هذه السنة وما تلاها زميل صف، ورفيق درب، وصديق روح. وكم قدرت له بشدة مبادرته في أن يقترح زيارة والدته لوالدتي. لكن

ما جعلني أقدره بعمق هو أنه وضع في موقف صعب من أصدقائه يخيره بين صداقتي أو صداقتهم، ومن دون تردد اختارني.

بعض الناس يرون الكفيف طويل اللسان، ويريدون منه أن يلتزم الصمت ما دام قد فقد البصر. وللأسف فقد كان في رفاق المدرسة أفراد من هذا النوع. وكثيرا ما كانت الحوارات تأخذ منحى الاختلاف في وجهات النظر على نحو من يكن يتقبله الزملاء، ولم يكن يسعني أن أسكت إرضاء لهم. فيكون الفراق هو النتيجة الحتمية.

حين وضع عبد الله في هذا الموقف، رفض أن يبتعد عني كما فعل الآخرون، ولو فعل لما لمته؛ فأنا أعرف أنني كنت كثير النصح، وأكثر الناس في هذا الزمن لا يحبون الناصحين.

ذات مرة كنا نجلس في حديقة من حدائق العيد في مكان يعج بالأسر والمتنزهين، وليس ببعيد عن مجلس مجموعة من الشباب. فتحوا آلة التسجيل في السيارة، وأداروا الأغاني بصوت عال، وأخذوا يرقصون على أنغامها رقصات لا يمكنني وصفها. لكن استياء أصدقائي منها حتم عليّ أن أتخذ موقفا يفوق الاستياء، فطلبت من رفاقي أن يوصلوني لهم لأنصحهم. وبالطبع رفضوا. لكن رفضهم لم يمنعني من الذهاب وأداء واجب النصح؛ حفاظا على الوطن من أن تشوه صورته، وحفاظا على الشباب العربي الخليجي من أن

يفقد هويته وروحه الأصيلة.

في هذا الموقف وفي سواه وفي أشباهه. كان عبد اللّه معي.

شكرا عبد اللّه.

ذات مرة.. جاءني عبد اللّه مهرولا وهو يحمل الصحيفة، وفيها صورتي وأنا أستلم جائزة الشارقة للتميز التربوي وهو يقول: "هل رأيت...."، ثم سكت كمَن تذكر شيئا، وأحس بحرج شديد.

ابتسمت وقلت له: نعم يا صديقي رأيتها. لا عليك، فكلنا نرى.

الفصل التاسع عشر

سلطان الثقافة

سلطان الثقافة

قدر لي أن أصافح المجد حين استلمت جائزة الشارقة للتفوق والتميز التربوي من يد صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي. نشأتُ في بلدة طيبة لها راعٍ مسؤول.

في طفولتي سمعت عن اختيار الشارقة عاصمة للثقافة العربية عام 1998. وكانت حينها العاصمة الأولى للعرب في مجال الثقافة، فقدّرت أنها قد جمعت الفخر من أركانه، وبلغت ذروة المجد.

وفي شبابي عايشت احتفالية الشارقة بلقب عاصمة الثقافة العربية عام 2014. فقلت يومها: هذا هو الفخر. هذا أكبر وأجمع.

واليوم وأنا أكتب كتابي الأول أرى الشارقة تتوج عاصمة عالمية للكتاب لعام 2019!! فأي مجد تطلبين أيتها المدينة المشرقة؟!

وأي عز يطلبه لك سلطان المعرفة والعلم والثقافة والكتاب؟!

الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي رجل دولة وحكمة، ورجل علم ودين، ورجل ثقافة وفكر، ورجل تربية وتعليم. شخصية لا يمكن أن تتكرر. لقائي بسموه – كذلك – لا يمكن أن يتكرر. فمنصة التكريم التي وضعت فيها قدمي للمرة الأولى هي التي فتحت لي أبواب التفوق والتميز والإنجاز.

فإن كان من كلمة شكر أختم بها كتابي؛ فهو شكر نيابة عن كل طلاب الشارقة الذين يعتبرهم سلطان أبناءه. ولذلك:

أنشأ لهم مؤسسة القرآن الكريم والسنة النبوية، وفيها درستُ.

أنشأ لهم جائزة الشارقة للتفوق والتميز التربوي، وبها فزتُ.

أنشأ لهم أكثر من 20 متحفا في الشارقة؛ لتنمية الشخصية وبناء المهارة وتعديل السلوك واكتساب المعرفة، وقد زرتُها وسكنتْ في قلبي مسكنا حسنا.

إننا يا صاحب السمو نعاهد الشارقة ونعاهد راعي نهضتها وعملاق فكرها أننا ماضون في درب يبدأ من الشارقة وينتهي حيث تغرب الشمس.

الفصل العشرون

أنا والأدب

أنا والأدب

اليوم وفي استدعاء سريع للأحداث.

أجد نفسي قد تخرجت في جامعة العين للعلوم والتكنولوجيا، في كلية التربية.

ثم أجد نفسي مختصا في الإعاقة البصرية بوزارة التربية والتعليم.

ثم أجد نفسي معبرا عن ذاتي من خلال كلمات تستحضر ما مر عليّ من زمان ومكان وإنسان.

ثم أجد نفسي أسطر كل صباح إطلالة أدبية أضع فيها خلاصة فكري ومنثور أفكاري، أشرك بها الآخرين.

فما علاقتي بالأدب والحرف والكلمة والكتاب؟

أستذكر هنا دور المسابقات الأدبية والاجتماعية والثقافية التي

تقيمها المؤسسات المعنية بدولة الإمـارات. وحين أقلّب دفتر ترشحي لجائزة الشارقة للتفوق والتميز التربوي، فإني أجد أن الجائزة وجهتني لكثير من الأنشطة الأدبية والثقافية، وكنت أسعى بشكل حثيث للمشاركة في مسابقات تتعلق بالكتابة والخطابة.

أتذكر هنا جائزة لطيفة لإبداعات الطفولة في فئة الخطابة عام 2006؛ حيث قدمتُ خطبة بعنوان "الصحبة الصالحة"، كما أتذكر مسابقة مواصلات الإمارات 2010 التي قدمتُ فيها خطبة بعنوان "أخطار الطريق".

أتذكر وأنا أدخل عالم الكتاب الأستاذ خضر ثابت والأستاذ عماد المدركي الذين درساني في المدرسة وكانا سببا في حروفٍ نضَّدتُها، وكلمات كتبتها، وجمل ركبتها، وصفحات أنجزتها.

في أحد الأيام كتبت في إطلالة الصباح عبارة أحب أن أضعها هنا: "لا يعيش في هذه الدنيا سعيدا أو مرتاحا إلا من صفّى نيته، ونظّف من الشوائب قلبه، وعزز من قدراته، وابتعد عمّن ينغّص عيشه، وقبل هذا أرضى ربه، ومن ثم ضميره. فهذه جملة من الأسباب تدخل عليك السعادة من كل باب، رزقنا الله وإياكم عيشة هنيئة وجنة راضية".

وفي يوم آخر كتبت: "التغيير لا ينبع إلا من إرادة حقيقية داخل العبد؛ فمن دون هذه الإرادة لا يمكن تغيير نفسك، ولو اجتمعت

أسباب الأرض جميعها. فالله هو المسبب. يعينك على التغيير، ويسخر أسبابه إذا علم منك رغبة فيه".

وفي كل يوم أكتب المزيد. فأهلا بالقلم.

الفصل الحادي والعشرون

القلم الأبيض

القلم الأبيض

الكتابة بالقلم الأبيض... كانت تجربة لا تنسى، وأحيت في قلبي تجربة تستعصي على النسيان.

الكتابة بالقلم الأبيض.. كتاب وضعتُ فيه تجربتي في جائزة الشارقة للتميز التربوي. تلك الجائزة التي قدمتها نموذجا ضمن تجربة أعمق وأشمل في ميادين الحياة. بدأتُ في الشارقة وليدا، وأنا هنا اليوم فيها معلما.

أجد رمزية البياض محببة إلي منذ اليوم الذي قررت أن أخلع فيه النظارة السوداء. نعم لقد لبست النظارة السوداء فترة طويلة من حياتي، لكني اليوم أخلعها.

خلعتها لأنها لم تكن في يوم من الأيام خياري، وأحب أن أمضي في

الحياة وفق اختياري لا اختيار الآخرين.

خلعتها لأنها أصبحت ضد قناعاتي؛ فأنا في مجتمع أحبه وأنتمي إليه، لا أريد أن أتميز عنه، ولا أريد أن أختبئ منه.

خلعتها لأن عينيّ شيءٌ أحبه وأفتخر به، لأني أتقبل نفسي كما هي.

استوحيت عنوان هذا الكتاب من العصا البيضاء. تلك العصا التي بدأت بالحديث عنها في هذا الكتاب. تحدثت عنها وأنا أعترف أني لم أستخدم العصا البيضاء، لكني أخذت من رمزيتها القلم الأبيض.

وشتان بين العصا والقلم!!!

فالعصا ليست وسيلة جيدة للتعليم وإن علَّمتْ، في حين أن القلم هو رمز العلم والتعلُّم.

والعصا البيضاء وإن أدت دورها بفاعلية في مجتمعات عديدة، إلا أنها ليست ذات جدوى وأثر في مجتمع دولة الإمارات؛ إذ إنّ المشي في الأصل ليس ثقافة رائجة. لكن القلم في دولة الإمارات هو الرائج وهو المقدم؛ فالدولة قامت على العلم، ورعت العلم، وقدمت العلم لكل أحد دون تمييز أو إقصاء.

والعصا الببيضاء - في رأيي - تقلل من تقدير إمكانية الكفيف في معرفة تفاصيل المكان وحفظه، وهي تذكرني بأحد الأصدقاء والذي كان ماهرا في حفظ الأماكن والوصول إليها بسهولة ويسر، لكنه حين بدأ يعتمد على برامج وتطبيقات الخرائط الذكية فقد

قدرته على الإحساس بالمكان.

تبقى هذه مجرد أفكار في العصا البيضاء، أجدني مقتنعا بها اليوم، وقد أتخلى عن قناعاتي غدا. لكن قناعتي التي لا تتغير هي أن القلم خالد.

القلم خالد على مدار الأيام، وهو الذي خلد لنا طه حسين من خلال كتابه الأيام.

والقلم خالد وأثره باقٍ، وليس من فرق بين قلم يكتب بنقط برايل النافرة، وبين قلم يكتب بالحرف الأسود. فالقلم في جميع الأحوال رسول للفكر، ترجمان للعقل، ناقل للمشاعر، حامل للقضايا، مفرغ للهموم.

ولذا فأنا أنحاز إلى القلم؛ حبا وثقة وأملا بمن أقسم بـ "نون والقلم وما يسطرون".

قالوا

وُلِـدَ طفلي كفيفَ البصر. ومنذ نعومة أظفـاره وفـي بداية مراحل الطفولة الجميلة أحب الاستماع للقرآن الكريم بصمت، ثم أتم حفظه بمراحل مبكرة من عمره، فاقتبس الفصاحة والبلاغة. أبدع بكتاباته. له تطلعات مستقبلية، وهو متأنٍ في قراراته. شغوف بالقراءة والمعرفة واكتساب المهارات. تميّز وأبدع. له بصمة وأثر في المجتمع؛ فبصيرته جعلته من أصحاب التحديات. اللّه يحفظه ويحميه.

أم عبد الله – والدتي

عبد اللّه؟ هو قطعة من روحٍ، تجزأت أحشائي وكُتبت ملكاً له، أخي وسندي وأجمل تفاصيل عُمريٍ، أُحبه عندما يشاركني تفاصيل يومي، عندما لا يرضى على اختفاء ابتسامتي، عندما يُحب أن يشارك

تفاصيل الحُب والخير لنا، لن أرى مثل شهامته دفاعاً عنا، ولا مثل جمال أخلاقه مع غريب، يُشبه ملاكاً نزل من السماء واحتلّ قلوبنا، أخي لم يفقد شيئًا ولم ينقص منه شيء، بل هناك نقصان بعقولٍ تعتقد أن الأبطال من أصحاب الهِمم والنجاحات لهم نواقص، إنهم فخر واعتزاز كونهم معنا، كونهم يُعلّمونا الأفضل، سأبقى أقولها بِفخر: "أخي لن يُكرره الزمن"، وستبقى تلك المقولة خالدة: "الإعاقة ليست إعاقة الجسد، إنما هي إعاقة الروح والفكر".

وفاء وحمده - أختاي

"ذاتي": برنامج يعنى بنماء الذات وصقل الشخصية بما تملكه من مواهب وقدرات وطاقات كامنة، جمعني بالشاب عبد الله عوض الفذِّ في عطائه، والذي كان قدوة مبهرة لكل من عرفه في فترة برنامج "ذاتي"؛ فقد كان حريصا على الاستفادة والإفادة، وأن يكون عضوا منتجا نافعا لمجتمعه ووطنه الغالي، دمتَ فخرا لكل من يعرفك من قريب أو بعيد.

د. ريما عودة – مدربتي في دورة "ذاتي"

ما يجمعني بعبد الله أكبر من الزمالة والصداقة. إنها أخوة. جمعتنا في المدرسة، واستمرت في الحياة العملية. التقيته وقد كان يحمل إنجاز الفوز بجوائز التميز. ومشيت معه فرأيت التميز عنده ليس مجرد جائزة. إنه نهج حياة. كم أفخر بهذا الأخ.

عبدالله الكعبي – صديقي

حين التقيت بعبد الله في دورة في مهارات التعامل مع الحاسب الآلي في دبي، ألفتُه منذ الوهلة الأولى. شعرت بأن في فكره أفقا متسعا، لمست في قوله حكمة. ولذا فما زلت إلى هذا اليوم أعتبره مستشارا قبل أن يكون صديقا.

علي الهاشمي – صديقي

يعود بي الزمان إلى ذلك الفتى الذي لم يتجاوز الثانية عشرة من العمر عندما قدم من إمارة الشارقة لاستكمال دراسته بمكتب العين التعليمي. يبهرك بأحلامه الكبيرة، وبكلماته التي تسابق عمره، وبروحه المتحدية لقضبان الإعاقة.

لا أنسى ساعات العمل التطوعية التي كان يقضيها بيننا يرفع دافعية أقرانه، ويشارك بتدريبهم الآخر على طريقة "برايل" أو أجهزة الإعاقة البصرية .

فهنيئا لقلوب تحمل حب الخير والعطاء، وهنيئا لمن يستمدّ من حديثهم التفاؤل والقوة والحماس، وهنيئا لمن روّض المستحيل ليصبح واقعا مزهرا جميلا يحصد ثماره.

فاطمة الكعبي – رئيسة قسم القدرات الخاصة بمجلس أبوظبي للتعليم

عبد الله الهمامي مُذ تعرفت إليه وهو طالب في السنة الأولى في الجامعة يسارع إلى حضور محاضراتي ولا يفوّت واحدة منها، عرفته شابا ناضجا محبا للعلم، حريصا على تحصيل المعرفة، لا يألو جهدا في السعي وراءها، وهو إلى ذلك لطيف المعشر، كريم النفس، مليح النادرة، حاضر البديهة، دمث الأخلاق، عذب السجايا، يقدر العلم والعلماء، ويوليهم منزلتهم التي يستحقونها، فهو خليق بكل ما فيه خير.

أرجو له دوام التقدم والنجاح، وأن آراه دائما علَما من أعلام العلم والمعرفة.

د. شمس الإسلام – أستاذتي في الجامعة

كثيرون هم الطلبة الذين مروا عليّ. قليلون منهم باقون في الذاكرة. عبد الله أبرزهم.

أحمد العبدولي – مدير مدرسة علي بن أبي طالب

حين جاء عبد الله الهمامي إلى مدرسة الدهماء، أدركت على الفور أن هذا الفتى سيكون له شأن. فرحتُ بتميزه، وأفرح أكثر حين أقرأ كلماته.

محمد الحنطوبي – مدير مدرسة الدهماء